

الباب الرابع

تفسير سيد قطب عن آيات الكفر

أ. حقيقة الكفار وخصائصهم في تفسير سيد قطب في ظلال القرآن

١. حقيقة الكفار عند نظر سيد قطب.

(أ) الكفر هو الموت

ووجد الكاتب هذه الحقيقة للكفار في تفسير سيد حينما يفسر قوله تعالى في سورة

الأنعام: ١٢٢،

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ

بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)

قال سيد قطب في هذه الآية عن حقيقة الكفر:

"إن الكفر انقطاع عن الحياة الحقيقية الأزلية، التي لا تفتنى ولا تغيض ولا تغيب. فهو موت، واعزال عن القوة الفاعلة المؤثرة في الوجود كله. فهو موت، وانطماس في أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية، فهو موت. والإيمان اتصال واستمداد واستجابة، فهو حياة. إن الكفر حجاب للروح عن الاستشراق والاطلاع.

فهو ظلمة، وختم على الجوارح والمشاعر. فهو ظلمة وتيه في التيه وضلال. فهو ظلمة. وإن الإيمان تفتح ورؤية، وإدراك واستقامة. فهو نور بكل مقومات النور.^١

"إن الكفر انكماش وتحجر، فهو ضيق. وشروء عن طريق الفطري الميسر، فهو عسر. وحرمان من الاطمئنان إلى الكنف الآمن، فهو القلق. وإن الإيمان إنشراح ويسر وطمأنينة وظل ممدود. وما الكافر؟ إن هو إلا نبتة ضالة لا وشائج لها في تربة هذا الوجود ولا جذور. إن هو إلا فرد منقطع الصلة بخالق الوجود، فهو منقطع الصلة بالوجود. لا تربطه به إلا روابط هزيلة من وجوده الفردي المحدود. في أضيق الحدود. في حدود التي تعيش فيها البهيمة. حدود الحس وما يدركه الحس من ظاهر هذا الوجود!"^٢

ووجد الكاتب أيضا هذه الحقيقة في تفسير سيد حينما يفسر قوله تعالى في سورة يس: ٧٠،

لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

قال سيد عن هذه الآية:

"ويضع التعبير القرآني الكفر في مقابل الحياة. فيجعل الكفر موتا. ويجعل استعداد القلب للإيمان حياة. وبين وظيفة هذا القرآن بأنه نزل على الرسول ﷺ لينذر من به حياة. فيجدي فيهم الإنذار، فأما الكافرون فهم موتى لا يسمعون النذير، وظيفة القرآن بالقياس إليهم هي تسجيل الاستحقاق للعذاب، فإن الله لا يعذب أحدا حتى تبلغه الرسالة ثم يكفر عن بينة ويهلك بلا حجة ولا معذرة. وهكذا يعلم

^١ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣م)، ١٢٠٠.

^٢ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٢٠٠.

الناس أنهم إزاء هذا القرآن فريقان: فريق يستجيب فهو حي، وفريق لا يستجيب فهو ميت. ويعلم هذا الفريق أن قد حق عليه القول، وحق عليه العذاب!"^٣

(ب) الكفار هم الذين يغطون روحهم

ووجد الكاتب حقيقة الكفار الأخرى في سورة العنكبوت: ٤٧،

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ

بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)

وقال سيد قطب في تفسير هذه الآية:

"فهذه الآيات من الوضوح والاستقامة بحيث لا ينكرها إلا الذين يغطون روحه عنها ويستترها، فلا يراها ولا يتملاها!. والكفر هو التغطية والحجاب في أصل معناه اللغوي."^٤

٢. صورة عامة عن خصائص الكفار.

وفي هذا القسم، وجد الكاتب كثيرا من الآيات المتعلقة بصور الكفار وخصائصهم.

وسيعرض الكاتب الآيات القرآنية وتفسير سيد قطب المتعلقة بها. ومن خصائصهم هي:

(أ) طُبِعُهم العنيد وردّهم على الحجج بالعنف

^٣ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٥، ٢٩٧٥.

^٤ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٥، ٢٧٤٦.

لا يزال الكافر عنيدا، سواء أكان في عصر رسول الله ﷺ أم في عصر الحاضر. ويصف

القرآن طَبَعَهُم العنيد في سورة البقرة: ٦-٧،

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

وبدأ سيد قطب تفسيره بتقديم التعارض بين صورة المؤمنين وصورة الكافرين. وأما

تفسيره كما يلي:

"فأما الصورة الثانية فهي صورة الكافرين. وهي تمثل مقومات الكفر في كل أرض وفي كل حين: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)]."

"وهنا نجد التقابل تاما بين صورة المتقين وصورة الكافرين. فإذا كان الكتاب بذاته هدى للمتقين، فإن الإنذار وعدم الإنذار سواء بالقياس إلى الكافرين. إن النوافذ المفتوحة في أرواح المتقين، والشائج التي تربطهم بالوجود وبخالق الوجود، وبالظاهر والباطن والغيب والحاضر. ان هذه النوافذ المفتوحة كلها هناك. مُعَلَّقة كلها هنا. وإن الشائج الموصولة كلها هناك، مقطوعة كلها هنا."^٥

وفي قوله تعالى: [حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ] قال سيد:

^٥ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٤٢.

"ختم عليها فلا تصل إليها حقيقة من الهدى ولا صدى. [وعلى أبصارهم غشاوة] فلا نور يوصوص لها ولا هدى! وقد طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم جزاء وفاقا على استهتارهم بالإندار. حتى تساوى لديهم الإنذار وعدم الإنذار. إنها صورة صلدة، مظلمة، جامدة، ترتسم من خلال الحركة الثابتة الجازمة. حركة الختم على القلوب والأسماع، والتغشية على العيون والأبصار. [ولهم عذاب عظيم] وهي النهاية الطبيعية للكفر العنيد، الذي لا يستجيب للذير، والذي يستوي عنده الإنذار وعدم الإنذار، كما علم الله من طبعهم المطموس العنيد."^٦

وبالإضافة إلى الآية السابقة، يوصف طبعهم العنيد أيضا في سورة الحج: ٧٢ في شكل

عنف يستخدمونه في الرد على الحجج التي لا يمكنهم المجادلة معها.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ

بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ... (٧٢)

وركز السيد قطب على تفسيره عند وصف الطبع المتعجرف والعنيد لهؤلاء الكفار:

"إنهم لا يناهضون الحجة بالحجة، ولا يقرعون الدليل بالدليل إنما هم يلجأون إلى العنف والبطش عندما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل. وذلك شأن الطغاة دائما يشترج في نفوسهم العتو، وتهيج فيهم روح البطش، ولا يستمعون إلى كلمة الحق لأنهم يدركون أن ليس لهم ما يدفعون به هذه الكلمة إلا العنف الغليظ!"^٧

^٦ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٤٢.

^٧ سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٤، ٢٤٤٣.

ب) كانوا مُشكِّكين في صحة القرآن ومتهمين عليه بالإفك المفترى

وهذه الخصيصة يوصفها القرآن في سورة البقرة: ٢٦-٢٧،

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)

وفي هذه الآية، بدأ سيد بكتابة أسباب النزول لهذه الآيات كما يلي:

"وهذه الآيات تشي بأن المنافقين الذين ضرب الله لهم مثل الذي استوقد ناراً
ومثل الصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق - وربما كان اليهود كذلك
والمشركون - قد اتخذوا من ورود هذه الأمثال في هذه المناسبة، ومن وجود أمثال أخرى
في القرآن المكّي الذي سبق نزوله وكان يتلى في المدينة، كالذي ضربه الله مثلاً للذين
كفروا برهم [... كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)^٨] وكالذي ضربه الله مثلاً لعجز آهتهم المدعاة عن خلق الذباب
[... إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)^٩]."

"نقول: إن هذه الآيات تشي بأن المنافقين - وربما كان اليهود كذلك
والمشركون - قد وجدوا في هذه المناسبة منفذاً للتشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن،
بحجة أن ضرب الأمثال هكذا بما فيها من تصغير لهم وسخرية منهم لا تصدر عن
الله، وأن الله لا يذكر هذه الأشياء الصغيرة كالذباب والعنكبوت في كلامه!. وكان

^٨ سورة العنكبوت: ٤١.

^٩ سورة الحج: ٧٣.

هذا طرفا من حملة التشكيك والبلبله التي يقوم بها المنافقون واليهود في المدينة، كما كان يقوم بها المشركون في مكة. فجاءت هذه الآيات دفعا لهذا الدس، وبيانا لحكمة الله في ضرب الأمثال، وتحذيرا لغير المؤمنين من عاقبة الاستدراج بها، وتطمينا للمؤمنين أن ستزيدهم إيمانا.^{١٠}

وبعد أن بيّن سبب النزول للآية السابقة، فسر سيد الآية بقوله:

"الله رب الصغير والكبير، وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل. إنها معجزة الحياة. ثم أوضح أيضا أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير. وليس في ضرب الأمثال ما يعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره. وذكر سيد قطب غرض الله في جعل هذه الأمثال يعني أن الله -جلت حكمته- يريد بها اختبار القلوب، وامتحان النفوس."^{١١}

ثم شرح سيد صورة المؤمنين الذين آمنوا بحقيقة هذه الأمثال في الآية التالية [فَأَمَّا الَّذِينَ

آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ] بقوله:

"ذلك أن إيمانهم بالله يجعلهم يتلقون كل ما يصدر عنه مما يليق بجلاله، وبما يعرفون من حكمته."

وفي الآية التالية، صور سيد قطب حال كون الكفار الذين هم يتساءلون ويتحIRON عن

هذه الأمثال [مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا؟] بقوله:

"وهو سؤال المحجوب عن نور الله وحكمته، المقطوع الصلة بسنة الله وتذبيره. ثم سؤال من لا يرجو لله وقارا، ولا يتأدب معه الأدب اللائق بالعبد أمام تصرفات

^{١٠} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥٠.

^{١١} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥٠.

الرب يقولونها في جهل وقصور، في صيغة الاعتراض والاستنكار، أو في صورة التشكيك في صدور مثل هذا القول عن الله!^{١٢}

وفي قوله تعالى [يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا] فسرهُ سيد بقوله: "ممن لا يحسنون استقبال ما يجيئهم من الله." وفسر [وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا] بقوله: "ممن يدركون حكمة الله."^{١٣} وقال سيد في قوله تعالى [وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ] أي: "الذين فسقت قلوبهم من قبل وخرجت عن الهدى والحق، فجزأؤهم زيادتهم مما هم فيه!"

ومن خصائص الفاسقين التي ذكرها القرآن في هذه الآية ثلاثة، وهي:

الأول، [الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...] قال سيد عن هذه الآية:

"وعهد الله المعقود مع البشر يتمثل في عهود كثيرة منها: إنه عهد الفطرة المركوز في طبيعة كل حي. أن يعرف خالقه، وأن يتجه إليه بالعبادة؛ وعهد الاستخلاف في الأرض الذي أخذه الله على آدم، وعهود الكثيرة في الرسالات لكل قوم أن يعبدوا الله وحده، وأن يحكموا في حياتهم منهجه وشريعته. وهذه العهود كلها هي التي ينقضها الفاسقون."^{١٤}

الثاني، قال تعالى [وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ] قال سيد قطب عنها:

^{١٢} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥٠-٥١.

^{١٣} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥١.

^{١٤} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥١-٥٢.

"والله أمر بصلات كثيرة. أمر بصلة الرحم والقربى. وأمر بصلة الإنسانية الكبرى. وأمر بصلة العقيدة والأخوة الإيمانية التي لا تقوم صلة ولا شيجة إلا معها. وإذا قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد وقع الفساد في الأرض، وعمت الفوضى."^{١٥}

الثالث، قال تعالى [وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] وقال سيد عنها:

"والفساد في الأرض ألوان شتى، تتبع كلها من الفسوق عن كلمة الله، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل. ورأس الفساد في الأرض هو الحيدة عن منهجه الذي اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها."^{١٦}

وكان موقف الكفار على القرآن موجودا في الآيات المتفرقة في القرآن مثل في سورة

الأنعام: ٢٥ [... يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ]، في هذه الآية قال سيد:

"والأساطير جمع أسطورة. وكانوا يطلقونها على الحكايات التي تتضمن الخوارق المتعلقة بالآلهة والأبطال في قصص الوثنيات. وأقربها إليهم كانت الوثنية الفارسية وأساطيرها. وهم كانوا يعلمون جيدا أن هذا القرآن ليس بأساطير الأولين. ولكنهم إنما كانوا يجادلون ويبحثون عن أسباب الرد والتكذيب، ويتلمسون أوجه الشبهات البعيدة. وكانوا يجدون فيما يتلى عليهم من القرآن قصصا عن الرسل وأقوامهم، وعن مصارع الغابرين من المكذبين. فمن باب التحل والتماس أوهى الأسباب، قالوا عن هذا القصص وعن القرآن كله ' إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ '."^{١٧}

^{١٥} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥٢.

^{١٦} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٥١.

^{١٧} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٠٦٦.

وهذا أيضا موجود في سورة الفرقان: ٤-٥ [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ

وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤)]. في هذه الآية، الكفار يسمون القرآن

بالإفك المفتري. قال سيد قطب في تفسيره:

"وهم يوقنون في أنفسهم أنها الفرية التي لا تقوم على أساس. فما يمكن أن يخفى على كبرائهم الذين يلقنونهم هذا القول أن القرآن الذي يتلوه عليهم مُخَدَّ صلى الله عليه وسلم، شيء آخر غير كلام البشر، وهم كانوا يحسون هذا بدوقهم في الكلام، وكانوا لا يملكون من التأثير بالقرآن. ولكنه العناد والخوف على مراكزهم الاجتماعية المستمدة من سيادتهم الدينية، كان ينجح بهم إلى هذه المناورات يطلقونها في وسط جمهور العرب، الذين قد لا يميزون بين الكلام ولا يعرفون درجته حتى يقولون [إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ]."^{١٨}

(ج) كانوا يفرقون كتب الله ﷻ ورسله وملايكته.

وصور القرآن هذه الخصيصة في سورة البقرة: ٩١.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ

مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

وقال سيد عن هذه الآية:

"وكان هذا هو الذي يقولونه إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن وبالإسلام. كانوا يقولون [نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا]. ففيه الكفاية وهو وحده الحق. ثم يكفرون بما وراءه سواء ما جاء به عيسى عليه السلام، وما جاءهم به مُخَدَّ خاتم النبيين."^{١٩}

^{١٨} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٥، ٢٥٥٠.

^{١٩} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٩٠-٩١.

وفي الآية التالية [قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] قال سيد:

"لم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم حقا تؤمنون بما أنزل إليكم؟ وهؤلاء الأنبياء هم الذين جاؤوكم بما تدعون أنكم تؤمنون به؟ لا، بل إنكم كفرتم بما جاءكم به موسى - نبيكم الأول ومنقذكم الأكبر -".

والآية التي تصوّر حالهم في تفريق ملائكة الله موجودة في بعض الآيات في القرآن مثل في

سورة البقرة: ٩٧-٩٨،

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)

وفي هذه الآية، بدأ سيد بتقديم سبب النزول لهذه الآية الذي يصف بجهل اليهود لأنهم

يخترعوا قصة واهية وحجة فارغة. قال سيد قطب:

"لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على محمد ﷺ ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحقد والحق فقد لجّ بهم الضغن أن يخترعوا قصة واهية وحجة فارغة، فيزعموا أن جبريل عدوهم، لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب، وأن هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد من جراء صاحبه جبريل! ولو كان الذي ينزل إليه بالوحي هو ميكائيل لآمنوا، فميكائيل يتنزل بالرخاء والمطر والخصب! إنما الحماقة المضحكة، ولكن الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة. وإلا فما بالهم يعادون

جبريل؟ وجبريل لم يكن بشرا يعمل معهم أو ضدهم، ولم يكن يعمل بتصميم من عنده وتدابير؟ إنما هو عبد الله يفعل ما يأمره ولا يعصى الله ما أمره.^{٢٠}

ثم انتقد الله سلوكهم السيئ في قوله تعالى [مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ] وقال سيد عن هذه الآية:

"وبنو إسرائيل لم يكونوا يؤمنون أو يتقون أو يوقنون!. وكانوا -كعادتهم في تفریق الدين وتفریق الرسل- قد فرقوا بين ملائكة الله الذين سيمعون أسماءهم وأعمالهم، فقالوا: إنهم على صداقة مع ميكائيل أما مع جبريل فلا!. لذلك، جمعت الآية التالية جبريل وميكائيل وملائكة الله ورسله، لبيان وحدة الجميع، والإعلان أن من عادى أحدا منهم فقد عاداهم جميعا، وعادى الله سبحانه، فعاداه الله فهو من الكافرين.^{٢١}

و هذا يوصف أيضا في سورة النساء: ١٥٠،

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ

وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠)

في هذه الآية، علق سيد قطب على حالة أهل الكتاب -اليهود والنصارى- الذين

يزعمون أنهم آمنوا بأنبيائهم.

"لقد كان اليهود يدعون الإيمان بأنبيائهم وينكرون رسالة عيسى ورسالة محمد،

كما كان النصارى يقفون بإيمانهم عند عيسى -فضلا عن تأليهه- وينكرون رسالة محمد

كذلك. وكان القرآن ينكر على هؤلاء وهؤلاء، ويقرر التصوير الإسلامي الشامل

^{٢٠} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٩٣.

^{٢١} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٩٣.

الكامل عن الإيمان بالله ورسوله بدون تفريق بين الله ورسوله، وبدون تفريق كذلك بين رسله جميعا. وبهذا الشمول كان الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله من الناس غيره. لأنه هو الذي يتفق مع وحدانية الله، ومقتضيات هذه الوحدانية.^{٢٢}

(د) كانوا يصدّون الناس عن الإسلام

ويوصف هذه الخصيصة في سورة الأنفال: ٣٦.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)

وبدا سيد في تفسير هذه الآية برواية رواها محمد إسحاق عن الزهري وغيره قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع فلهم -أي جيشهم المهزوم- إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيه، مشى عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن مُجدا قد وترككم وقتل خياركم! فأعينونا بهذا المال على حربته، لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا. ففعلوا. فقال: ففيهم -كما ذكر ابن عباس-

أنزل الله عز وجل: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... الخ]

وقال سيد بعده:

"وليس هذا الذي حدث قبل بدر وبعدها إلا نموذجاً من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين. إنهم ينفقون أموالهم، ويبدلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في

^{٢٢} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٧٩٧.

الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين. وفي حرب العصابة المسلمة في كل أرض وفي كل حين. إن المعركة لن تكف، وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة. ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن. وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان، ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجرؤ عليها الطاغوت.

"والله - سبحانه - ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة. إنهم سينفقونها لتضيع في النهاية، وليغلبوا هم وينتصر الحق في هذا الدنيا. وسيحشرون في الآخرة إلى جهنم، فتم الحسرة الكبرى."^{٢٣}

(هـ) كانوا يجحدون في إضلال وتكفير المسلمين

وكان سعيهم في تكفير المسلمين موجود في سورة البقرة: ١٠٩،

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ

مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ... (١٠٩)

وقال سيد قطب عن تفسير هذه الآية:

"الحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الاسلام والمسلمين، وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتديراتهم كلها وما تزال. وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعة العقيدة في نفوسهم، وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه."^{٢٤}

^{٢٣} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٥٠٦-١٥٠٧.

^{٢٤} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ١٠٢.

وبالإضافة إلى الآية السابقة، يصف القرآن هذه الصفة في القرآن في سورة آل عمران:

.١٠٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)

وبدأ سيد قطب بتفسيره بتشريح حقيقة حضور المسلمين في هذا الأرض. قال سيد:

"لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشئ في الأرض طريقها على منهج الله وحده متميزة متفردة ظاهرة. لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله، لتؤدي في حياة البشر دورا خاصا لا ينهض به سواها. لقد وجدت لإفراز منهج الله في الأرض، وتحقيقه في صورة عملية، ذات معالم منظورة، تترجم فيها النصوص إلى حركات وأعمال، ومشاعر وأخلاق، وأوضاع وارتباطات.^{٢٥}"

وقال سيد في قوله تعالى [...إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ].

"إن طاعة أهل الكتاب والتلقى عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة. كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعودا في طريق النماء والارتقاء. وهذا بذاته ديب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب. هذا من جانب المسلمين. فأما من الجانب الآخر، فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها. فهذه العقيدة هي صخرة النجاة، وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة.

^{٢٥} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٤٣٧.

وأعداؤه يعرفون هذا جيدا. يعرفونه قديما ويعرفونه حديثا، ويبدلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعدة.^{٢٦} "وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين. وحين يعيبيهم أن يحاربوها بأنفسهم وحدهم، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون -زورا- للإسلام، جنودا مجندة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعا غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها. فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طواعية واستماعا واتباعا، فهم ولا شك ستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال."^{٢٧}

(و) كانوا يحاربون دين الله

ويوصف القرآن هذه الخصيصة في سورة التوبة: ٣٢.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُسَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)

وقال سيد عن هذه الآية:

"إن أهل الكتاب هؤلاء لا يقفون عند حد الانحراف عن دين الحق، وعبادة أرباب من دون الله. وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر -وفق المفهوم الصحيح للإيمان بالله واليوم الآخر- إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق، ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في هذا الدين، وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض، وفي المنهج الذي يصوغ على وفقه حياة البشر."

وفي قوله تعالى [يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ] قال سيد:

^{٢٦} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٤٣٨.

^{٢٧} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٤٣٩.

"فهم محاربون لنور الله. سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن. أو بما يحرضون به أتباعهم وأشباعهم على حرب هذا الدين وأهله، والوقوف سدا في وجهه كما كان هو الواقع الذي تواجهه هذه النصوص وكما هو الواقع على مدار التاريخ. وهذا التقرير - وإن كان يراد به استجاشة قلوب المسلمين إذ ذاك - هو كذلك يصور طبيعة الموقف الدائم لأهل الكتاب من نور الله المتمثل في دينه الحق الذي يهدي الناس بنور الله."^{٢٨}

وفي قوله تعالى [وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] قال سيد:

"وهو الوعد الحق من الله، الدال على سنته التي لا تتبدل، في إتمام نوره بإظهار دينه ولو كره الكافرون. وهو وعد تطمئن له قلوب الذين آمنوا، فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق على المشقة والأواء في الطريق، وعلى الكبد والحرب من الكافرين (والمراد بهم هنا هم أهل الكتاب السابق ذكرهم) كما أنه يتضمن في ثناياه الوعيد لهؤلاء الكافرين وأمثالهم على مدار الزمان!"^{٢٩}

و إضافة إلى ذلك، هذه الخصيصة توصف أيضا في سورة الفرقان: ٥٥.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

قال سيد في قوله تعالى [وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا]:

"كل كافر - ومشركوا مكة من ضمنهم! - إنما هو حرب على ربه الذي خلقه وسواه. فكيف ذلك، وهو صغير ضئيل لا يبلغ أن يكون حربا ولا ضدا على الله؟ إنه حرب على دينه. وحرب على منهجه الذي أراده للحياة. إنما يريد التعبير أن يقطع جريمته ويبشعها، فيصوره حربا على ربه ومولاه!"

^{٢٨} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٦٤٣.

^{٢٩} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٦٤٣.

"فهو يحارب ربه حين يحارب رسول الله ﷺ ورسالته، فلا على الرسول منه، فإنما الحرب مع الله، وهو به كفيل. ثم يطمئن الله عبده، ويخفف العبء عن عاتقه، ويشعره أنه حين يؤدي واجبه في التبشير والإيذار، وجهاد الكفار بما معه من قرآن فلا عليه من عداء المجرمين له ولا عناد الكافرين. والله يتولى عنه المعركة مع أعدائه الذين إنما يعادون الله. فليتوكل على ربه. والله أعلم بذنوب عباده!".^{٣٠}

٣. كفر أهل الكتاب

ويثير الكاتب هذا القسم لأن الكاتب يرى الظروف في الوقت الحاضر في إندونيسيا، حيث يوجد جدال حول إطلاق مصطلح كافر على النصارى واليهود - وهم أهل الكتاب -، وعلى أتباع الديانات الأخرى مثل الهندوسية والبوذية وغير ذلك. وأدى هذا الجدل أخيراً إلى 'إلغاء' مصطلح الكافر من قبل منظمة مجتمع نهضة العلماء (NU) في بحث المسائل في مشورة وطنية (Munas) ومؤتمر كبير (Konbes) لنهضة العلماء سنة ٢٠١٩ في بنجر باترؤمان، جاوة الغربية. وأدى هذا 'الإلغاء' إلى الجدل الآخر المطوّل. وأما في الحقيقة، كثير يوجد آيات في القرآن تشير إلى كفر أهل الكتاب، منها:

(أ) البقرة: ١٠٥.

مَا يَؤُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ

وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)

في هذه الآية، قال سيد:

^{٣٠} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٥، ٢٥٧٤.

"ويجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر. وكلاهما كافر بالرسالة الأخيرة فهما على قدم سواء من هذه الناحية، وكلاهما يضم المؤمن الحقد والضغن، ولا يود لهم الخير. وأما أعظم ما يكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين. وهو أن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم هذا القرآن، ويحبوهم بهذه النعمة، ويعهد إليهم بأمانة العقيدة في الأرض، وهي الأمانة الكبرى في الوجود."^{٣١}

(ب) آل عمران: ٩٨.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)

قال سيد عن هذه الآية:

"وقد تكرر مثل هذا التنديد في هذه السورة، وفي سور غيرها كثيرة. وأول ما يتركه هذا التنديد من أثر هو مجابته أهل الكتاب بحقيقة موقفهم، ووصفهم بصفاتهم، التي يدارونها بمظهر الإيمان والتدين، بينما هم في حقيقتهم كفار. فهم يكفرون بآيات الله القرآنية. ومن يكفر بشيء من كتاب الله فقد كفر بالكتاب كله. ولو أنهم آمنوا بالنصيب الذي معهم لآمنوا بكل رسول جاء من عند الله بعد رسوهم. فحقيقة الدين واحدة. من عرفها عرف أن كل ما يجيء به الرسل من بعد حق، وأوجب على نفسه الإسلام لله على أيديهم."^{٣٢}

(ج) المائة: ٧٢-٧٣

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا

اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

^{٣١} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ١٠١.

^{٣٢} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ١، ٤٣٦.

(٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)

بدأ سيد قطب تفسيره بتقديم إختصار كيف تم الإتفاق في مجمع كبار كنائس عن الإيمان بعقيدة الثالوث وألوهية المسيح عيسى عليه السلام وأيضا الإختلاف بينهم عن هذه المسألة. ثم أغلق عرضه عن تاريخ ظهور عقيدة الثالوث في المسيحية بقوله:

"والله سبحانه يقول: إن هذه المقولات كلها كفر، وهي تتضمن القول بألوهية المسيح عليه السلام والقول بأن الله ثالث ثلاثة."

ثم ربط الحديث بقوله تعالى [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ]

وفي تفسير هذه الآية قال سيد:

"وهكذا حذرهم المسيح عليه السلام فلم يحذروا، ووقعوا بعد وفاته عنهم فيما حذرهم من الوقوع فيه وما أُنذَرهم عليه الحرمان من الجنة والانتهاة إلى النار. ونسوا قول المسيح [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ] حيث أعلن لهم أنه هو وهم في العبودية سواء، لربوبية الله الواحد الذي ليس له من شركاء. ويستوفي القرآن الحكم على سائر مقولاتهم الكافرة [قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ]. ويقرر الحقيقة التي تقوم عليها تقوم عليها كل عقيدة جاء بها رسول من عند الله [وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ

وَاحِدٌ]. ويقول سيد أن الكفار لا ينتهون عن هذه المقولات التي حكم عليها الله بالكفر الصراح.^{٣٣}

(د) التوبة: ٢٩-٣١

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)

وفي تفسير هذه الآية، ذكر سيد قطب صفات التي علقت في أهل الكتاب وهي كما

تلي:

"الأول، أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. الثاني، أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله. الثالث، أنهم لا يدينون دين الحق. ثم بين في الآيات التالية كيف أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدينون دين الحق وذلك بأنهم: (١) قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقولهم هذا -عند سيد قطب- مثل عقيدة الذين كفروا من قبلهم من الوثنيين؛ (٢) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله. وأن هذا مخالف لدين الحق، وهو الدينونة لله وحده بلا شركاء. فهم بهذا مشركون لا يدينون دين الحق؛ (٣) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. فهم يحاربون لدين الله. ولا يحاربون دين الله مؤمن بالله واليوم الآخر يدين دين الحق أبدا؛ (٤) يأكل كثيرا من

^{٣٣} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٩٤٤-٩٤٥.

أخبارهم وهبائهم أموال الناس بالباطل. فهم إذن لا يجرمون ما حرم الله ورسوله. وهذه هي الصفات كلها كانت واقعة بالقياس إلى نصارى الشام والروم.^{٣٤}

٤. كفر من لم يحكم بما أنزل الله

وفي هذا القسم، اختص الكاتب يبحث عن كفر من لم يحكم بما أنزل الله عز وجل. وسيعرض الكاتب كل آيات تتعلق بهذا الأمر وتفسير سيد قطب عنها، هل يكفر المسلمون أم لا. وأما الآيات المتعلقة بهذا الأمر وهي:

المائدة: ٤٤-٤٧

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ
النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ
فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ...
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)

قال سيد قطب في تفسير هذه الآيات:

"لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة. منهج حياة واقعية. جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية، وتنظيمها، وتوجيهها، وصيانتها. ولم يجرى دين من

^{٣٤} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٦٣٢.

عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير، ولا ليكون كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدي في الهيكل والحراب. فهذه وتلك -على ضرورتهما للحياة البشرية وأهميتهما في تربية الضمير البشري- لا يكفیان وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها، ما لم يتم على أساسهما منهج ونظام وشريعة تطبق عمليا في حياة الناس، ويؤخذ الياس بما يحكم القانون والسلطان، ويؤخذ الناس على مخالفتها، ويؤخذون بالعقوبات.^{٣٥}

"والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد. يملك السلطان على الضمائر والسرائر، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك. ويجزي الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا، كما يجزيهم وفق حسابه في الحياة الآخرة. فأما حين تتوزع السلطة، وتتعدد مصادر التلقي، حين تكون السلطة لله في الضمائر والشعائر بينما السلطة لغيره في الأنظمة والشرائع. وحين تكون السلطة لله في جزاء الآخرة بينما السلطة لغيره في عقوبات الدنيا.^{٣٦}

"حينئذ تتمزق النفس البشرية بين سلطين مختلفتين، وبين اتجاهين مختلفين، وبين منهجين مختلفين. وحينئذ تفسد الحياة البشرية ذلك الفساد الذي تشير إليه آيات القرآن في مناسبات شتى: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... (٢٢)]^{٣٧}؛ [وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ... (٧١)]^{٣٨}؛ [ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)].^{٣٩}

"ومن أجل هذا جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة. وسواء جاء هذا الدين لقرية من القرى، أو لأمة من الأمم، أو للبشرية كافر في جميع أجزائها، فقد جاء ومعه شريعة معينة لحكم واقع الحياة، إلى جانب العقيدة التي تنشئ التصور الصحيح للحياة، إلى جانب الشعائر التعبدية التي تربط القلوب بالله. وكانت هذه الجوانب

^{٣٥} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٨٩٥.

^{٣٦} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٨٩٥-٨٩٦.

^{٣٧} سورة الأنبياء: ٢٢.

^{٣٨} سورة المؤمنون: ٧١.

^{٣٩} سورة الجاثية: ١٨.

الثلاثة هي قوام دين الله. حيثما جاء دين من عند الله. لأن الحياة البشرية لا تصلح ولا تستقيم إلا حين يكون دين الله هو منهج الحياة.^{٤٠}

وفي قوله تعالى [..فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوْنَ اللَّهَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] قال سيد:

"ولقد علم الله - سبحانه - أن الحكم بما أنزل الله ستواجهه - في كل زمن وفي كل أمة - معارضة من بعض الناس، ولن تتقبله نفوس هذا البعض بالرضى والقبول والإستسلام. ستواجهه معارضة الكبراء والطغاة وأصحاب السلطان الموروث. ذلك أنه سينزع عنهم رداء الألوهية الذي يدعونه، ويرد الألوهية لله خالصة، حين ينزع عنهم حق الحاكمية والتشريع والحكم بما يشرعونه هم للناس مما لم يأذن به الله. وستواجهه معارضة أصحاب المصالح المادية القائمة على الاستغلال والظلم والسحت. ذلك أن شريعة الله العادلة لن تبقي على مصالحهم الظالمة. وستواجهه معارضة ذوي الشهوات والاهواء والمتاع الفاجر والانحلال. ذلك أن دين الله سيأخذهم بالتطهر منها وسيأخذهم بالعقوبة عليها. وستواجهه معارضة جهات شتى غير هذه وتيك وتلك، ممن لا يرضون أن يسود الخير والعدل والصلاح في الأرض. وعلم الله - سبحانه - أن الحكم بما أنزل الله ستواجهه هذه المقاومة من شتى الجهات.^{٤١}

وفي قوله تعالى: [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] قال سيد:

"بهذا الحسم الصارم الجازم، وبهذا التعميم الذي تحمله 'من' الشرطية وجملة الجواب. بحيث يخرج من حدود الملابس والزمان والمكان، وينطلق حكما عاما، على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل، ومن أي قبيل. والعلة هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله، إنما يرفض ألوهية الله. فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية

^{٤٠} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٨٩٦.

^{٤١} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٨٩٧.

التشريعية. ومن يحكم بغير ما أنزل الله، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب، ويدعى لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر."

"وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك؟ وماقيمة دعوى الإيمان أو الإسلام باللسان والعمل - وهو أقوى تعبيراً من الكلام- ينطق بالكفر أفصح من اللسان؟ إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل، لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه. وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطق عليهم باليصل الصريح الواضح الأكيد."^{٤٢}

وفي قوله تعالى [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] قال سيد:

"والتعبير عام، ليس هناك ما يخصه، ولكن الوصف الجديد هنا هو 'الظالمون'. وهذا الوصف الجديد لا يعنى أنها حالة أخرى غير التي سبق الوصف فيها بالكفر. وإنما يعنى إضافة صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله. فهو كافر باعتباره رافضاً لألوهية الله - سبحانه - واختصاصه بالتشريع لعباده، وبادعائه هو حق الألوهية بادعائه حق التشريع للناس. وهو ظالم بحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم، الصالحة المصلحة لأحوالهم. فوق ظلمه لنفسه بإيرادها موارد التهلكة، وتعريضها لعقاب الكفر. وتعريض حياة الناس - وهو معهم - للفساد. وهذا ما يقتضيه اتحاد المسند إليه وفعل الشرط: 'ومن يحكم بما أنزل الله' فجواب الشرط الثاني يضاف إلى جواب الشرط الأول، ويعود كلاهما على المسند إليه في فعل الشرط وهو 'من' المطلق العام."^{٤٣}

وفي قوله تعالى [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ القَاسِئُونَ] قال سيد:

^{٤٢} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٨٩٨.

^{٤٣} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٩٠٠.

"والناص هنا كذلك على عمومه وإطلاقه. وصفة الفسق تضاف إلى صفتي الكفر والظلم من قبل. وليست تعني قوماً جديداً ولا حالة جديدة منفصلة عن الحالة الأولى. إنما هي صفة زائدة على الصفتين قبلها، لا صفة بمن لم يحكم بما أنزل الله من أي جيل، ومن أي قبيل. الكفر يرفض ألوهية الله ممثلاً هذا في رفض شريعته. والظلم يحمل الناس على غير شريعة الله وإشاعة الفساد في حياتهم. والفسق بالخروج عن منهج الله واتباع غير طريقه، فهي صفات يتضمنها الفعل الأول، وتنطبق جميعها على الفاعل. ويؤء بها جميعاً دون تفریق."^{٤٤}

وفي سورة الأنعام: ١٥٠.

قُلْ هَلْ مَشْهُدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ (١٥٠)

قال سيد قطب عن هذه الآية:

"إنها مواجهة هائلة، ومواجهة كذلك فاصلة. ودلالاتها على طبيعة هذا الدين غير خافية. إن هذا الدين يسوي بين الشرك العلني الواضح باتخاذ آلهة أخرى مع الله، وبين الشرك الآخر الذي يتمثل في مزاوله حق الحاكمية والتشريع للناس بما لم يأذن به الله—دون اعتبار لما يدعونه هم من أن ما يشرعونه هو شريعة الله!—كما أنه يصم الذين يرتكبون هذه الفعل بأهم يكذبون بآيات الله، ولا يؤمنون بالآخرة، وهم برهم يعدلون. أي يجعلون له أندادا تعدله. وهو ات التعبير الذي جاء في أول آية في السورة وصفا للذين كفروا: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ].^{٤٥} هذا حكم الله على الذين يغتصبون حق الحاكمية

^{٤٤} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٩٠١.

^{٤٥} سورة الأنعام: ١.

ويزاولونه بالتشريع للناس -دون اعتبار لدعواهم أن ما يشرعونه هو من شريعة الله!. -
وليس بعد حكم الله رأي لأحد في هذه القضية الخطيرة.^{٤٦}

وقال أيضا في تفسيره:

"إن الله قد حكم على المشرعين للناس من عند أنفسهم -مهما قالوا إنه من
شرع الله- بأنهم يكذبون بآياته. لأن آياته -إن كان المراد بها آيته الكونية- كلها
تشهد بأنه الخالق الرزاق الواحد. والخالق الرزاق هو المالك. فيجب أن يكون وحده
المتصرف الحاكم. فمن لم يفرد -سبحانه- بالحاكمة فقد كذب بآياته هذه. وإن كان
المقصود آياته القرآنية، فالنصوص فيها حاسمة وصرحة وواضحة في وجوب إفراده -
سبحانه- بالحاكمة في حياة البشر الواقعية، واتخاذ شريعته وحدها قانونا، وتعبيد
الناس له وحده بالشرع النافذ والحكم القاهر.^{٤٧}

"كذلك حكم عليهم -سبحانه- بأنهم لا يؤمنون بالآخرة. فالذي يؤمن
بالآخرة، ويوقن أنه ملاق ربه يوم القيامة، لا يمكن أن يعتدي على ألوهية الله، ويدعي
لنفسه حقه الذي يتفرد به. وهو حق الحاكمة المطلقة في حياة البشر. ممثلة هذه
الحاكمة في قضائه وقدره وفي شريعته وحكمه."

"ثم حكم عليهم في النهاية بأنهم يبدلون، أي أنه حكم عليهم بالشرك
الذي وصف به الكافرين. ذلك أنهم لو كانوا موحدين ما شاركوا الله -سبحانه- في
حق الحاكمة الذي تفرد به. أو ما قبلوا من عبد أن يدعيه ويزاوله وهم راضون!. هذه
-فيما يبدو لنا- هي علة حكم الله على من يزاولون حق الحاكمة وشرعون للناس ما
لم يأذن به، بالتكذيب بآياته، وعدم الإيمان بالآخرة والشرك الذي يتحقق به
الكفر.^{٤٨} والله أعلم.

^{٤٦} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٢٢٨.

^{٤٧} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٢٢٨.

^{٤٨} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٢٢٨.

ب. تعامل المسلمين مع الكفار عند سيد قطب

١. معاملة المسلمين مع الكفار في وقت الأمن

وفي هذا القسم، سيعرض الكاتب آيات تتكلم عن معاملة مسلمين مع الكفار، وبالخصوص في وقت الأمن وهو في الحياة اليومية. وأما الآيات المتعلقة بها وهي:

سورة النساء: ٨٩،

... فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)

وقال سيد عن هذه الآية:

"ونحس من النهي عن اتخاذ أولياء منهم، أنه كانت ما تزال للروابط والشائج العائلية والقبلية بقايا في نفوس المسلمين في المدينة وربما كان للمصالح الاقتصادية أيضا. وكان المنهج القرآني يعالج هذه الرواسب، ويقرر للأمة المسلمة قواعد ارتباطاتها. كما يقرر قواعد تصورها في الوقت ذاته."

"كان يعلمها أن الأمة لا تقوم على روابط العشيرة والقبلية، أو روابط الدم والقرباة، أو روابط الحياة في أرض واحدة أو مدينة واحدة، أو روابط المصالح الاقتصادية في التجارة وغير التجارة. إنما تقوم الأمة على العقيدة، وعلى النظام الاجتماعي المنبثق من هذه العقيدة."^{٤٩}

"ومن ثم فلا ولاية بين المسلمين في دار الإسلام، وبين غيرهم في دار الحرب، ودار الحرب (هي يومئذ مكة موطن المهاجرين الأول). لا ولاية حتى يهاجر أولئك

^{٤٩} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٧٣٢.

الذين يتكلمون بكلمة الإسلام، ويتضمنوا إلى المجتمع المسلم حيث تكون هجرتهم لله
وفي سبيل الله.^{٥٠}

وفي الآية التالية، [فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحُذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا] قال سيد:

"ان الإسلام يتسامح مع أصحاب العقائد المخالفة له، فلا يكرههم أبداً على
اعتناق عقيدته. ولهم -حتى وهم يعيشون في ظل نظامه ودولته- أن يجهروا بمعتقداتهم
المخالفة للإسلام. في غير ما دعوة للمسلمين ولا طعن في الدين. فقد ورد في القرآن
من استنكار مثل هذا الطعن من أهل الكتاب مالا يدع مجالاً للشك في أن الإسلام لا
يدع غير المعتنقين له ممن يعيشون في ظله يطعنون فيه ويموهون حقائقه ويلبسون الحق
بالباطل كما تقول بعض الآراء المائعة في زماننا هذا!"

"وحسب الإسلام أنه لا يكرههم على اعتناق عقيدته. وأنه يحافظ على
حياتهم وأموالهم ودمائهم، وأنه يتمتعهم بخير الوطن الإسلامي بلا تمييز بينهم وبين أهل
الإسلام، وأنه يدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم في غير ما يتعلق بمسائل النظام العام."
"إن الإسلام يتسامح هذا التسامح مع مخالفه جهارا نهارا في العقيدة، ولكنه
لا يتسامح هذا التسامح مع من يقولون الإسلام كلمة باللسان تكذبا لأفعال. لا
يتسامح مع من يقولون 'إنهم يوحدون الله ويشهدون أن لا اله الا الله.' ثم يعترفون لغير
الله بخاصية من خصائص الألوهية، كالحاكمية والتشريع للناس، فيصم أهل الكتاب
بأنهم مشركون، لأنهم أحلوا لهم الحلال، وحرموا عليهم الحرام فاتبعوهم!"^{٥١}

"ولا يتسامح هذا التسامح في وصف جماعة من المنافقين بأنهم مؤمنون. لأنهم
شهدوا أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله. ثم يقوا في دار الكفر، يناصرون أعداء

^{٥٠} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٧٣٢.

^{٥١} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٧٣٢.

المسلمين! ذلك أن التسامح هنا ليس تسامحا. إنما هو تميع. والإسلام عقيدة التسامح، ولكنه ليس عقيدة التميع.^{٥٢}

وبجانب ذلك، قواعد المعاملة بين المسلمين والكفار وردت في سورة الممتحنة: ٧-٩.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

وقال سيد في تفسير هذه الآية:

"إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظل العام كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك!. وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضوا تحت لوائه الرفيع. ولا يياس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم."^{٥٣}

وفي قوله تعالى [عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَوَدَّةً] قال سيد:

"وهذا الرجاء من الله، معناه القطع بتحقيقه. والمؤمنون الذين سمعوه لا بد قد أيقنوا به، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة، وأن أسلمت قريش، وأن

^{٥٢} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٢، ٧٣٢-٧٣٣.

^{٥٣} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٦، ٣٥٤٤.

وقف الجميع تحت لواء واحد، وأن طويت الثارات والمواجد، وأن عاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب.^{٥٤}
وقال أيضا في تفسيره:

"وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دلّ عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم في مادة من الم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم. ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئا. ولكنه نهي أشد النهي عن الولاء لمن قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم. وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون. ومن معاني الظلم الشرك بالرجوع إلى قوله تعالى [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ...].^{٥٥} وهو تهديد رهيب يجزع منه المؤمن، ويتقي أن يدخل في مدلوله المخيف!".

"وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإيسانية، بل نظرتة الكلية لهذا الوجود، الصادر عن إله واحد، المتجه إلى إله واحد، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي، من وراء كل اختلاف وتنوع."

"وهي أساس شريعته الدولية، التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعا هي الحالة الثابتة، لا غيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة رده، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة، وثي تهديد بالاعتداء، أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد. وهو كذلك اعتداء. وفيما عدا هذا فهي السلم والمودة والبر والعدل للناس أجمعين.^{٥٦}

^{٥٤} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٦، ٣٥٤٤.

^{٥٥} سورة لقمان: ١٣.

^{٥٦} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٦، ٣٥٤٤-٣٥٤٥.

٢. معاملة المسلمين مع الكفار في وقت الحرب

وفي هذا القسم، سيعرض الكاتب آيات وتفاسير سيد قطب تتعلق بمعاملة المسلمين مع

الكفار في وقت الحرب. وأما الآيات المتعلقة بها وهي:

سورة التوبة: ١٢٣، قال الله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

الْمُتَّقِينَ (١٢٣)

وذكر سيد في تفسير هذه الآية بأنها 'آية تضع خطة الحركة الجهادية ومداهها كذلك'. وقال

سيد في قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ]:

"فقد سارت عليها الفتوح الإسلامية، تواجه من يلون ((دار الإسلام)) وبحاربونها، مرحلة فمرحلة. فلما أسلمت الجزيرة العربية - أو كادت ولم تبق إلا فلول منعزلة لا تؤلف قوة يخشى منها على دار الإسلام بعد فتح مكة - كانت غزوة تبوك على أطراف بلاد الروم. ثم كان انسياح الجيوش الإسلامية في بلاد الروم وفي بلاد فارس، فلم يتركوا وراءهم جيوبا."

"ووحدت الرقعة الإسلامية، ووصلت حدودها، فإذا هي كتلة ضخمة شاسعة الأرجاء، متماسكة الأطراف، ثم لم يأتها الوهن فيما بعد إلا من تمرقها، وإقامة الحدود المصطنعة فيما بينها على أساس ملك البيوت، أو على أساس القوميات!. وهي خطة عمل أعداء هذا الدين على التمكين لها جهد طاقتهم وما يزالون يعملون. وستظل هذه الشعوب التي جعل منها الإسلام أمة واحدة في دار الإسلام المتصلة الحدود وراء فواصل الأجناس واللغات والأنساب والألوان ستظل ضعيفة مهيضة إلا

أن تثوب إلى دينها، وإلى رايته الواحدة، وإلى أن تتبع خطى رسول الله ﷺ وتدرك أسرار القيادة الربانية التي كفلت لها النصر والعز والتمكين.^{٥٧}

وحينما وقف سيد في قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا

فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] قال سيد:

"فوجد أمرا بقتال الذين يلون المسلمين من الكفار. لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين ولا على ديارهم. وتدرك أن هذا هو الأمر الأخير، الذي يجعل 'الانطلاق' بهذا الدين هو الأصل الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس هو مجرد 'الدفاع' كما كانت الأحكام المرحلية أول العهد بإقامة الدولة المسلمة في المدينة.^{٥٨}"

"ويريد بعض الذين يتحدثون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام، وعن أحكام الجهاد في الإسلام، وبعض الذين يتعرضون لتفسير آيات الجهاد في القرآن. أن يتلمسوا لهذا النص النهائي الأخير قيدا من النصوص المرحلية السابقة، فيقيده بوقوع الاعتداء أو خوف الاعتداء!. والناصر القرآني بذاته مطلق، وهو النص الأخير!. وأن اللذين يكتبون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام، وعن أحكام الجهاد في الإسلام، والذين يتصدون لتفسير الآيات المتضمنة لهذه الأحكام، يتعاضمهم ويهو لهم أن تكون هذه هي أحكام الإسلام!. وأن يكون الله سبحانه قد أمر الذين آمنوا أن يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار، وأن يظلوا يقاتلون من يلونهم من الكفار، كلما وجد هناك من يلونهم من الكفار!. يتعاضمهم ويهو لهم أن يكون الأمر الإلهي هكذا، فيروحون يتلمسون القيود للنصوص المطلقة، ويجدون هذه القيود في النصوص المرحلية السابقة!.^{٥٩}"

^{٥٧} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٦-١٧٣٧.

^{٥٨} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٧.

^{٥٩} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٧.

"إِنَّا نَعْرِفُ لِمَاذَا يَهْوِلُهُمْ هَذَا الْأَمْرُ وَيَتَعَاظِمُهُمْ عَلَى هَذَا النَّحْوِ. إِنَّهُمْ يَنْسَوْنَ أَنَّ الْجِهَادَ فِي الْإِسْلَامِ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، جِهَادٌ لِتَقْرِيرِ أَلُوْهِيَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَطَرْدِ الطَّوَاغِيتِ الْمَغْتَصِبَةِ لِسُلْطَانِ اللَّهِ، جِهَادٌ لِتَحْرِيرِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعِبُودِيَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ فَتَنَتْهُ بِالْقُوَّةِ عَنِ الدِّينُونَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَالانْطِلَاقَ مِنَ الْعِبُودِيَةِ لِلْعِبَادِ [حَتَّى لَا تَكُونَنَّ فِتْنَةً وَيَكُونَنَّ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ].^{٦٠} وَأَنَّهُ لَيْسَ جِهَادًا لِتَغْلِيْبِ مَذْهَبٍ بَشَرِيٍّ عَلَى مَذْهَبٍ بَشَرِيٍّ مِثْلِهِ. إِنَّمَا هُوَ جِهَادٌ لِتَغْلِيْبِ سُلْطَانِ اللَّهِ عَلَى سُلْطَانِ الْعَبِيدِ!. وَلَيْسَ جِهَادًا لِإِقَامَةِ مَمْلَكَةِ لِعَبْدٍ، إِنَّمَا هُوَ جِهَادٌ لِإِقَامَةِ مَمْلَكَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. وَمَنْ ثَمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، لِتَحْرِيرِ الْإِنْسَانِ كُلِّهِ. بَلَا تَفْرَقَةَ بَيْنَ مَا هُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهَا. فَكُلُّهَا أَرْضٌ يَسْكُنُهَا الْإِنْسَانُ وَكُلُّهَا فِيهَا طَوَاغِيتٌ تَعْبُدُ الْعِبَادَ لِلْعِبَادِ!".^{٦١}

"وَحِينَ يَنْسَوْنَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ يَهْوِلُهُمْ طَبْعًا أَنْ يَنْطَلِقَ مِنْهَجٌ لِيَكْتَسِحَ كُلَّ الْمَنَاهِجِ، وَأَنْ تَنْطَلِقَ أُمَّةٌ لِتَخْضَعَ سَائِرَ الْأُمَمِ. إِنَّمَا فِي هَذَا الْوَضْعِ لَا تَسْتِسَاعُ!. لَوْ لَا أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ. ثَمَّ إِنَّهُ يَهْوِلُهُمْ الْأَمْرُ وَيَتَعَاظِمُهُمْ لِأَنَّهُمْ يُوَاجِهُونَ هَجُومًا صَلِيْبًا مِنْظَمًا لَيْمًا مَآكِرًا خَبِيْثًا يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الْعَقِيْدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ انْتَشَرَتْ بِالسِّيفِ، وَأَنَّ الْجِهَادَ كَانَ لِإِكْرَاهِ الْآخَرِينَ عَلَى الْعَقِيْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَانْتِهَاكَ حَرْمَةُ حُرِّيَّةِ الْإِعْتِقَادِ!".^{٦٢}

"وَالْمَسْأَلَةُ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ لَا تَكُونُ مُسْتِسَاعَةً. لَوْلَا أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. إِنَّ الْإِسْلَامَ يَقُومُ عَلَى قَاعِدَةٍ [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَيْ].^{٦٣} وَلَكِنْ لِمَاذَا يَنْطَلِقُ إِذْنٌ بِالسِّيفِ مُجَاهِدًا، وَلِمَاذَا اشْتَرَى اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ؟. إِنَّهُ الْأَمْرُ آخِرٌ غَيْرُ الْإِكْرَاهِ عَلَى الْعَقِيْدَةِ كَانَ هَذَا الْجِهَادِ!. إِنَّهُ لَضَمَانٌ حُرِّيَّةِ الْإِعْتِقَادِ كَانَ هَذَا الْجِهَادِ!. لِأَنَّ الْإِسْلَامَ كإِعْلَانِ عَامِ

^{٦٠} سورة الأنفال: ٣٩.

^{٦١} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٧-١٧٣٨.

^{٦٢} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٨.

^{٦٣} سورة البقرة: ٢٥٦.

لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد، يواجه دائما طواغيت في الأرض يخضعون العباد للعباد. ويواجه دائما أنظمة تقوم على أساس دينونة العبيد للعبيد، تحرس هذه الأنظمة قوة الدولة أو قوة تنظيمية في صورة من الصور، وتحول دون الناس في داخلها ودون سماع الدعوة الإسلامية، كما تحول دونهم ودون اعتقاد بأفح أشكاله. ومن هنا ينطلق الإسلام بالسيف ليحطم هذه الأنظمة، ويدمر هذه القوى التي تحميها، ثم ماذا؟. ثم يترك الناس -بعد ذلك- أحرارا حقا في اختيار العقيدة التي يريدونها. إن شاءوا دخلوا في الإسلام، فكان لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما عليهم من واجبات، وكانوا إخوانا في الدين للسابقين في الإسلام!. وإن شاءوا بقوا على عقائدهم وأدوا الجزية، إعلانا عن استسلامهم لانطلاق الدعوة الإسلامية بينهم بلا مقاومة، ومشاركة منهم في نفقات الدولة المسلمة التي تحميهم من اعتداء الذين لم يستسلموا بعد، وتكفل العاجز منهم والضعيف والمريض كالمسلمين سواء بسواء."

"إن الإسلام لم يكره فردا على تغيير عقيدته، كما انطلقت الصليبية على مدار التاريخ تذيب وتقتل وتبيد شعوبا بأسرها كشعب الأندلس قديما وشعب زنجبار حديثا لتكرههم على التنصر. وأحيانا لا تقبل منهم حتى التنصر، فتبيدهم لمجرد أنهم مسلمون. وأحيانا لمجرد أنهم يدينون بمذهب نصراني مخالف لمذهب الكنيسة الرسمية. وقد ذهب مثلا اثنا عشر ألفا من نصارى مصر ضحايا بصور بشعة إذ أحرقوا أحياء على نار المشاعل لمجرد مخالفتهم لجزئية اعتقادية عن كنيسة روما تتعلق بانبثاق الروح القدس من الآب فقط، أو من الآب والابن معا!. أو يتعلق بما إذا كان للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية، أو طبيعة لاهوتية ناسوتية، إلى آخر هذه الجزئيات الاعتقادية الجانبية!".^{٦٤}

وفي التفسير هذه الآية قال أيضا:

^{٦٤} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٨.

"إن الناس لا يستطيعون أن يفقهوا أحكام هذا الدين، وهم في مثل ما هم فيه من الهزال!. إنه لن يفقه أحكام هذا الدين إلا الذين يجاهدون في حركة تستهدف تقرير ألوهية الله وحده في الأرض ومكافحة ألوهية الطواغيت!. إن فقه هذا الدين لا يجوز أن يؤخذ عن القاعدين، الذين يتعاملون مع الكتب والأوراق الباردة!. إن فقه هذا الدين فقه حياة وحركة وانطلاق. وحفظ ما في متون الكتب، والتعامل مع النصوص في غير حركة، لا يؤهل لفقه هذا الدين، ولم يكن مؤهلاً له في يوم من الأيام!".^{٦٥}

وفي قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] قال سيد:

"تشير إلى أول المقصودين به كانوا هم الروم، وهم أهل الكتاب. ولكن لقد سبق في السورة تقرير كفرهم الاعتقادي والعملي، بما في عقيدتهم من انحراف، بما في واقعهم من تحكيم شرائع العبيد. وهذه لفئة لا بد من الوقوف عندها لفقه منهج هذا الدين في الحركة تجاه أهل الكتاب، المنحرفين عن كتابهم، المحتكمين إلى شرائع من صنع رجال فيهم!. وهي قاعدة تشمل كل أهل كتاب يتحاكمون -راضين- إلى شرائع من صنع الرجال وفيهم شريعة الله وكتابه، في أي زمان وفي أي مكان!".
وحين يفسر قوله تعالى [أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] قال سيد:

"ولهذا التعقيب دلالة. فالتقوى هنا، التقوى التي يحب الله أهلها، هي التقوى التي تنطلق في الأرض تقاتل من يلون المسلمين من الكفار، وتقاتلهم في غلظة أي بلا تميع ولا تراجع حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. ولكنه ينبغي أن نعرف وأن يعرف الناس جميعاً أنها الغلظة على الذين من شأنهم أن يجاروا وحدهم -وفي حدود الآداب العامة لهذا الدين- وليست هي الغلظة المطلقة من كل قيد وأدب!".

^{٦٥} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٩.

"إنه قتال يسبقه إعلان، وتخيير بين : قبول الإسلام، أو أداء الجزية، أو القتال. ويسبقه نبد إن كان هناك عهد—في حالة الخوف من الخيانة—(والأحكام النهائية تجعل العهد لأهل الذمة الذين يقبلون مسألة الإسلام وأداء الجزية، ولا عهد في غير هذه الحالة إلا أن يكون بالمسلمين ضعف يجعل الحكم المتعين في حالتهم هذه هو الحكم المرحلي الذي كان في حالة تشبه الحالة التي هم فيها)."^{٦٦}

وفي قوله تعالى في سورة مُجَد: ٤

فَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً

(٤)...

وقال سيد قطب في تفسير هذه الآية:

"واللقاء المقصود في الآية هنا هو اللقاء للحرب والقتال لا مجرد اللقاء. فحتى نزول هذه السورة كان المشركون في الجزيرة منهم المحارب ومنهم المعاهد. وضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء يجيء بعد عرض الإسلام عليهم وإبائهم له طبعاً. وهو تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تمثلها، تمشياً مع جو السورة وظلها."

وفي قوله تعالى [حَتَّىٰ إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ] قال سيد:

"والإثخان شدة التقتيل، حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع. وعندئذ—لا قبله—يؤسر من استأسر ويشد وثاقه. فأما العدو ما يزال قويا فالإثخان والتقتيل يكون الهدف لتحطيم ذلك الخطر. فالإثخان أولاً لتحطيم قوة العدو وكسر شوكته، وبعد ذلك يكون الأسر. والحكمة ظاهرة، لأن إزالة القوة المعتدية المعادية للإسلام هي الهدف الأول من القتال. وبخاصة حين كانت القوة العددية للأمة المسلمة قليلة محدودة. وكانت الكثرة للمشركين. وكان قتل محارب

^{٦٦} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٣، ١٧٣٩-١٧٤٠.

يساوي شيئا كبيرا في ميزان القوي حينذاك. والحكم ما يزال ساريا في عمومه في كل زمان بالصورة التي تكفل تحطيم قوة العدو، وتعجيزه عن الهجوم والدفاع.^{٦٧} والله أعلم.

ج. التحليل

في هذا القسم، أراد الكاتب أن يحلّل ويعلّق على الشرح عن حقيقة وخصائص الكفار والتعامل معهم بناء على تفسير سيد قطب في كتابه الأثري 'في ظلال القرآن'. وسيقدم الكاتب تعليقات وتحليلاً قليلاً للتفسير الذي قدمه السيد قطب فيما يتعلق بالآيات الكفر التي أشار إليها الكاتب في الأقسام الفرعية التي جمعها الكاتب من قبل. وسيعدّل الكاتب هذا التحليل لاحقا وفقا للقسم الفرعي، إنشاء الله.

في القسم الأول من الباب الرابع، أفاض الكاتب حقيقة الكفر في نظر سيد قطب. إذا نُظر إلى الباب الثاني السابق، أوضح الكاتب كثيرا من تعاريف و تحديدات لمصطلح الكفر التي أوضحها العلماء الإسلام، لغة كان أم إصطلاحا. وبالإضافة إلى ذلك، أوضح الكاتب -أيضا- في الباب الثاني أن العلماء قد قسموا كلمة الكفر إلى قسمين وهما: الكفر الأكبر والكفر الأصغر، حيث كان الكفر الأكبر هو الكفر الذي أخرج صاحبه من الإسلام. بينما كان الكفر الأصغر عكسه، فهو الكفر العملي

^{٦٧} سيد قطب، في ظلال القرآن ج. ٦، ٣٢٨١-٣٢٨٢.

—مثل الزنا وشرب الخمر وغير ذلك— الذي لم يخرج صاحبه من الإسلام، ما لم يكن صاحبه مستحلاً أو متكبراً أو آيباً.

عندما يفحص الكاتب تفسير سيد للآيات التي تحتوي على كلمة الكفر ومشتقاتها، لا يجد الكاتب أي تشابه بين تفسير سيد قطب وتفسير بعض المفسرين الآخرين في شرح هذه الكلمة. إذا كان أكثر المفسرين—في العادة— يشرحون هذه الكلمة من حيث اللغة والإصطلاح، فإن الكاتب لا يجد أي تفسير لسيد الذي يشرح المصطلح الكفر من حيث اللغة الإصطلاح إلا آية واحدة في سورة العنكبوت: ٤٧، حيث أوضح أن الكفار هم الذين يجحدون بآيات الله، وذلك لأن أرواحهم قد غطت وسترت فلا يروها ولا يتملوها!. وقال سيد في تفسيره أن "النظر في الكفر هو التغطية والحجاب في أصل معناه اللغوي." وحسب علم الكاتب، فقط هذا التفسير الذي يشرح مصطلح الكفر من وجهة اللغوية.

عندما فسر سيد سورة الأنعام: ١٢٢، صور حقيقة الكفر التي يعتبرها بالموت. وقدم تفسيراً شاعرياً وعميقاً عن حقيقة الكفر. ويمكن معرفة هذه الحقيقة في تفسيره: "إن الكفر انقطاع عن الحياة الحقيقية الأزلية"، "فهو موت، واعزال عن القوة الفاعلة المؤثرة في الوجود كله (الله)". وبالإضافة إلى ذلك، قام أيضاً بتشبيه الكفر باعتباره "حجاب للروح عن الاستشراق والاطلاع." فإن هذا—حسب قوله— بسبب الكفر هو "ظلمة، وختم على الجوارح والمشاعر" حتى وقع في حرج وضلال. ويشبه الكافر بأنه "نبته ضالة لا وشائج لها في تربة هذا الوجود ولا جذور. إن هو إلا فرد منقطع الصلة بخالق الوجود، فهو منقطع الصلة بالوجود. لا تربطه به إلا روابط هزيلة من وجوده الفردي المحدود. في أضيق

الحدود. في حدود التي تعيش فيها البهيمة. حدود الحس وما يدركه الحس من ظاهر هذا الوجود!".
 وكذلك عندما فسر سورة يس: ٧٠. ذكر أن الكفر هو نقيض للحياة، حتى أن الكفر هو الموت نفسه.
 هناك، شبه سيد الكفار باعتبارهم "الموتى لا يسمعون النذير"

بالإضافة إلى ذلك ، لم يجد الكاتب أي تقسيم لكلمة الكفر في تفسير سيد قطب، ولذلك
 عندما ذكر سيد كلمة الكفر ، فإن الكاتب لم يكن يعلم بوضوح ما قصده كان كفر أكبر أو كفر أصغر
 كما فعل معظم العلماء. وتم تأكيد هذا، عندما فسر قوله تعالى [ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم
 الكافرون] لم يذكر في تفسيره 'كفر دون كفر' وهو مصطلح آخر للكفر الأصغر. وهذا ما يجعل الكاتب
 يعتقد بأن سيد قطب ليس لديه مفهوم تقسيم الكفار إلى الكفر الأكبر والكفر الأصغر.

ثم في القسم الثاني من هذا الباب، ذكر الكاتب تفسير سيد المتعلق بصورة العام من خصائص
 الكفار في كل زمان ومكان. ومن الآيات التي تحتوي على كلمة الكفر ومشتقاتها، وجد الكاتب ست
 خصائص يمكن العثور عليها في الكافرين في كل مكان وزمان.

وفي خصيصة الأولى، وهي العنيد وردّهم على الحجج بالعنف. و يضع الكاتب هذه الخصايصة
 أولاً لأنها الخصائص الرئيسية التي يمتلكها الكافرين. وذلك لأن المرحلة الأولى في الإيمان هي دخول
 الهداية من خلال قلب الإنسان. بينما في حالة الكفار ، فإن قلوبهم محتوم ومغلقة بإحكام. ووصف
 سيد شدة ختمه وإغلاقه بقوله: " فلا نور يوصول لها ولا هدى." وكان طبع قلوبهم عند سيد هو
 "جزء وافقا على استهتارهم بالإنذار، حتى تساوى لديهم الإنذار وعدم الإنذار."

هكذا، إذا طبع الله على قلوب شخص وعلى سمعه، فسيصبح عنيدًا تلقائيًا لأنه يعرف أن التحذيرات والنصائح التي يقدمها رسول الله جيدًا، إلا أنه لن يقبلها حتى يرفضها بصوت عالٍ. حتى إذا كان الكفار -الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم- يُدعى إلى المناقشة بالإحسان، فإنهم سيبدلون كل ما في وسعهم لرفض الأدلة الكثيرة والحجة القوية المقدمة لهم. بل إنهم لا يحجمون عن الاستجابة للأدلة والحجة بالعنف والبطش عندما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل. وهذا ما وصفه سيد عندما فسر سورة الحج: ٧٢، "إنهم لا يناهضون الحجة بالحجة، ولا يقرعون الدليل بالدليل إنما هم يلجأون إلى العنف والبطش عندما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل. وذلك شأن الطغاة دائما يشتجر في نفوسهم العتو، وتنجح فيهم روح البطش، ولا يستمعون إلى كلمة الحق لأنهم يدركون أن ليس لهم ما يدفعون به هذه الكلمة إلا العنف الغليظ!". وهكذا الخصيصة التي موجودة في نفوس الكفار في هذا الكون.

ثم خصيصةهم الثانية هي تشكيكهم في صدق القرآن باعتباره وحي من الله، واتهامهم عليه بالأفك المفترى والأساطير الأولين. وهذه الخصيصة متعلقة بالخصيصة الأولى وهي العنيد. وذلك لأنهم لم يقبلوا الحجج والأدلة المعقولة، فيشكّون صحة القرآن باعتباره كلمة الله. وليس ذلك فقط، هم يشكّون المؤمنين باتهامهم وفتنتهم أن القرآن هو أساطير الأولين والأفك افتراه رسول الله ﷺ. وهذا ليس مفاجئًا، لأنهم جاهلون ومحدودون في المعرفة حتى في النهاية، هم يُحاولون في إضعاف النبي بفتانهم على القرآن.

وكثيرا ما أخبر الله هذه الحالات في القرآن، وهذا هو الحال عندما يضرب الله لهم الأمثال بالعنكبوت (العنكبوت: ٤١) والذباب (الحج: ٧٣)، فلما سمعوا بهذه الأمثال وجدوا منفذا للتشكيك

المسلمين عن صحة القرآن ولا يكاد تشكيكهم يجعل إيمان بعض المؤمنين مُتزعزعاً. وشرح سيد أن "ضرب الأمثال هكذا بما فيها من تصغير لهم وسخرية منهم لا تصدر عن الله، وأن الله لا يذكر هذه الأشياء الصغيرة كالذباب والعنكبوت في كلامه!". "ومع ذلك، قال سيد " أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير. " وفي هذه الحالة، قال الامام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله أعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشئ منه أو سبهما أو جحد حرفاً منه أو كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم أو خير أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبتته وهو عالم بذلك أو يشك في شئ من ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين.^{٦٨}

وخصائصهم الثالثة هي أنهم يفرقون كتب الله التي أنزلها علي رسله الكرام. بل يفرقون رسله التي أرسلهم الله لهم، كما يفرقون ملائكة الله. وهذا كثير يذكر في القرآن مثل في سورة البقرة: ٩١ و ٩٧- ٩٨، وسورة النساء: ١٥٠. وكونهم يفرقون بين كتب الله ورسله وملائكته مشهور من زمن قديم حتى الآن. وتستهدف هذه الخصيصة على أهل الكتاب يعني اليهود الذين يؤمنون فقط بكتاب التوراة ويشعرون بالكفاية في كتابهم ولا يؤمنون بالكتب التي جاءت بعده، وهي الإنجيل والقرآن. وتستهدف هذه الخصيصة أيضاً على النصارى الذين يؤمنون فقط بالتوراة والإنجيل ولا يؤمنون بالقرآن باعتباره كلمة الله تعالى.

^{٦٨} أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، التبيين في آداب حملة القرآن (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٤)، ١٦٤.

وقد وصف السيد هذا في تفسيره في سورة البقرة: ٩١، يعنى عندما يدعون إلى الإيمان بالقرآن باعتباره الوحي من الله، كانوا يقولون [تُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا] ففيه الكفاية وهو وحده الحق. وأما بالنسبة للإيمان بالرسول، فإن اليهود يؤمنون فقط بجميع الأنبياء ومنهم نبي الله موسى عليه السلام، ولكنهم لم يؤمنوا برسالة عيسى عليه السلام ومُحَمَّدٍ ﷺ. وكذلك النصارى، كانوا يؤمنون بجميع الرسل ومنهم عيسى عليه السلام، ولكنهم لا يؤمنون برسالة مُحَمَّدٍ ﷺ كخاتم الأنبياء والمرسلين. ووفقاً لسيد أن "من يريدون التفرقة بين الله ورسوله (بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرسول) ومن يريدون التفرقة بين الرسل (بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا ببعضهم) عبر عن هؤلاء وهؤلاء بأنهم (الذين يكفرون بالله ورسوله)". وهذا يُفهم لأنه يمكن تصنيف هذه التفرقة على أنها كفر.

وكذلك بالنسبة للإيمان بالملائكة. لذلك من غير المناسب للغاية إذا اعتبر أحد ما أن أحد ملائكة الله عدوه. وهذا ما فعله اليهود لما سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْتَرَعُوا قصة واهية وحجة فارغة، فيزعموا أن جبريل عدوهم، لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب. وقالوا لو كان الذي ينزل إليه بالوحي هو ميكائيل لآمنوا. ولكن هذا مجرد سبب لعدم تصديق رسول الله.

وخصيصة الرابعة هي أنهم يصدون الناس عن سبيل الله الحق وهو الإسلام. وهذه الخصيصة هي الخصيصة العامة الموجودة في نفوس الكفار في هذا العالم. ووفقاً لسيد قطب، "إنهم ينفقون أموالهم، ويبدلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين.

وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل حين. " وقول سيد هذا يمكن تبريره لأن حقائقه موجود في الوقت الحاضر. كم من أموال ينفقونها الكفار للقتال وتدمير بلدان المسلمين في الشرق الأوسط مثل فلسطين وسوريا وغيرها. وبجانب ذلك، هم يستخدمون وسائل الإعلام مثل التلفزيون والصحف كدعاية لتشويه الإسلام كدين إرهابي. هم يأملون بسعيهم هذا، أن الناس يتركوا دين الله الحق. ولكن كل الأموال التي انفقها الكفار ستذهب سدى، لأنها ستهزم وستنتصر الحقيقة في النهاية.

ثم إلى جانب محاولة صد الناس من دين الله، فإنهم يحاولون أيضًا إضلال المسلمين وتكفيرهم من دين الله. وهذه الخصيصة موجودة في سورة البقرة: ١٠٩، وال عمران: ١٠٠. وذكر سيد في تفسيره في سورة البقرة: ١٠٩، "أن الحسد هو ذلك الانفعال يسبب لليهود -من زمن قديم حتى الآن- للقيام بالكثير من دسائس وتديرات، لزعة العقيدة في نفوسهم، وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه. وفي سورة ال عمران: ١٠٠، ذكر سيد أن " طاعة أهل الكتاب -اليهود والنصارى- والتلقى عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية." وبجانب ذلك أن هذه الطاعة تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها، وهذه بذاتها ديب الكفر في نفس المسلمين."

من قوله السابق، يمكن إستباطه أنه يرفض كل منهج إلا منهج الله. وأكد حاكمية الله فوق المناهج الأخرى. و حسب قوله ، هذا لأن أهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها. ووفقا لسيد، حين يعيهم أن يجاربوها بأنفسهم وحدهم، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون -زورا- للإسلام، جنودا مجندة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة

من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولترين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعا غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها. فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طوعية واستماعا واتباعا، فهم ولا شك يستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال.

إذا نظر في الوقت الحاضر ، فإن ما شرحه السيد في تفسيره قد حدث كثيراً في الوقت الحاضر. كان هناك الكثير من الناس الذين يقولون إنه أستاذ أو علماء أو مفكر المسلم، لكن أفكاره ليبرالية للغاية ومضللة تؤدي حتى إلى معاداة الإسلام. حتى في إندونيسيا، هناك بعض الحركات المعادية للعرب وتريد الإسلام وفقاً للعادات الإندونيسية أولئك الذين يدعمون هذه الحركة يطلقون على إسلامهم 'إسلام نوسانتارا'، ويميلون إلى نشر فهم الإسلام المعادية 'للإسلام العرب'. ولكن كما هو معروف، الإسلام نفسه يأتي من الجزيرة العربية وكان النبي مُجَّد عربياً. ووفقاً لرأي الكاتب، هم -الذين ينشرون دائماً الكراهية والشك في الإسلام- كانوا شركاء من الكفار الذين تسللوا بين المسلمين لكسر العقيدة الإسلامية الصالحة.

ثم خصيصةهم السادسة هي أنهم لا يزالون يحاربون دين الله. وهذه الخصيصة متعلقة بالخصائص السابقة. ووفقاً لما قاله سيد في تفسيره في سورة التوبة: ٣٢، أنهم يحاربون نور الله بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن. أو بما يجرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله. وأما في سورة الفرقان: ٥٥، ذكر أن كل كافر -ومشركوا مكة من ضمنهم!- إنما هو حرب على ربه الذي خلقه

وسواه. ووفقا له، إنما يريد التعبير أن يفضح جريمته ويبشعها، فيصوره حربا على ربه ومولاه. إذا نظر إلى قوله السابق فيمكن القول أن تفسيره في سورة التوبة: ٣٢ يميل أكثر لشرح الأساليب التي يستخدمها الكفار (أهل الكتاب) في الحرب على دين الله. بينما في تفسيره في سورة الفرقان: ٥٥، هو يميل إلى فهم أن وجود الكفار هو -في الحقيقة- يحاربون الله ورسوله بسبب جريمتهم. وهاتان الآيتان مرتبطتان ببعضهما بالتأكيد لأن الجريمة التي ارتكبوها كانت كلامهم الذي احتوى على أكاذيب ودسائس وفتن على المسلمين.

ثم في القسم الثالث من هذا الباب، أوضح الكاتب كفر أهل الكتاب. وكما قال الكاتب فيما سبق، كان الكاتب يكتب هذا القسم ردا على مجادلة الذي حدث في المجتمع الإندونيسي فيما يتعلق بإطلاق مصطلح كافر على غير المسلمين. في الواقع، فإن إطلاق الكفر على أهل الكتاب هو أمر مشهور بين المسلمين. بل يعززه آيات القرآنية التي تتكلم عن كفرهم بالله، وهذا الأمر لا يمكن إنكاره.

وكما قاله الكاتب فيما سبق، ذكر سيد قطب أن أهل الكتاب كفار. واستند إلى سورة البقرة: ١٠٥، حيث يجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر وهذا لأن كلاهما كافر بالرسالة الأخيرة ويضمرون المؤمنين الحقد والضغن، فهما على قدم سواء من هذه الناحية. وكما قاله سيد في سورة ال عمران: ٩٨، حيث قال أن حقيقة أهل الكتاب هي الكفار. وذلك لأنهم يكفرون بآيات الله القرآنية. ومن يكفر بشيء من كتاب الله فقد كفر بالكتاب كله. وهذا يفهم، لأن لو أنهم آمنوا بالنصيب الذي معهم لآمنوا بكل رسول جاء من عند الله بعد رسولهم. فحقيقة الدين واحدة، وهي الإسلام.

ثم في سورة المائدة: ٧٢-٧٣، وصف سيد حالة النصارى الذين قد كفروا لأنهم ينسون قول المسيح [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ] حيث أعلن لهم أنه هو وهم في العبودية سواء، لربوبية الله الواحد الذي ليس له من شركاء. وعاقبة من قولهم واعتقادهم أن الله هو ثالث ثلاثة، حكموا عليهم بالكفر. وذلك لأنهم لا ينتهون عن هذه المقولات التي حكم عليها الله بالكفر الصراح.

ثم في القسم الرابع من هذا الباب، أوضح الكاتب عن كفر من لم يحكم بما أنزل الله. وهذا بالطبع متعلق بفكره وهو الحاكمية المثيرة للجدل للغاية. وذلك، لأنه مع هذه الحاكمية، يمكن للمسلم أن يقع في الكفر!. باختصار، في هذه الحاكمية، يجب على المسلم أن يقيم ألوهية الله من حيث الحاكمية، يعني السيادة في التشريعية موجودة فقط في الله وهي من خصائصه عز وجل. ووفقا لسيد في تفسيره في سورة المائدة: ٤٤-٤٧، "أن من لم يحكم بما أنزل الله. فهو كافر باعتباره رافضا لألوهية الله - سبحانه- واختصاصه بالتشريع لعباده، وبادعائه هو حق الألوهية بادعائه حق التشريع للناس. ثم وفقا لسيد، أن من لم يحكم بما أنزل الله هو ظالم لأنه يحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم وإشاعة الفساد في حياتهم. وبالإضافة إلى إطلاق عليهم بالكافر والظالم، فإن الله حكم عليهم بالفاسق لأنهم خرجوا عن منهج الله واتباع غير طريقه.

وبين سيد هذا الأمر حينما يفسر سورة الأنعام: ١٥٠، "إن هذا الدين يسوي بين الشرك العلني الواضح باتخاذ آلهة أخرى مع الله، وبين الشرك الآخر الذي يتمثل في مزاوله حق الحاكمية والتشريع للناس بما لم يأذن به الله -دون اعتبار لما يدعونه هم من أن ما يشرعونه هو شريعة الله!- كما

أنه يصم الذين يرتكبون هذه الفعلة بأنهم يكذبون بآيات الله، ولا يؤمنون بالآخرة، وهم بريهم يعدلون. بعبارة أخرى ، أن الله اعتبرهم بالمشرك مثل الكافر. وهذه هي لمحة فكر السيد قطب عن كفر من لم يحكم بما أنزل الله. بناء على تفسيره الذي نقله الكاتب فيما سبق، فوضح أن سيد قطب متيقن بأن كل من لم يحكم بما أنزل الله قد وقع في الكفر والشرك لأنه يرفض ألوهية الله عز وجل وخصائصه في الحاكمية حتى يحكم عليه بالكافر والظالم والفاسق.

وهذا الكفر -وفقا لتفسيره- يمكن إطلاقه لأي شخص لأنه عام (قد سبق ذكره في القسم السابق) بحيث يمكن القول إذا كان المسلم لا يحكم شيئا بما أنزل الله -يعنى بشريعة الله المنزلة على محمد ﷺ- فحكم عليه بالكفر. وكما ذكره الكاتب فيما سبق، أن سيد قطب لم يكن لديه مفهوم تقسيم الكفار إلى الكفر الأكبر والكفر الأصغر حتى يشك الكاتب هل كلمة الكفر هنا هي الكفر الأكبر الذي أخرج صاحبه من إسلامه، أم الكفر الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من إسلامه. وهذا لأن بعض المفسرين حين يفسر 'الكافر' في سورة المائدة: ٤٤، هم يفسرونها بـ "كفر دون كفر" وهو مصطلح آخر للكفر الأصغر الذي لا يخرج المسلم من إسلامه. لكن عندما ينظر الكاتب إلى تفسير سيد في سورة الأنعام: ١٥٠، حيث قال أن موقف أولئك الذين لا يحكموا بما أنزل الله هو نفس موقف المشركين، فتبين للكاتب أن الكافر الذي قصده سيد في تفسيره هو الكفر الأكبر الذي أخرج صاحبه من الإسلام. ولذلك، بناء على هذا التفسير، استنبط الكاتب أن سيد قطب يكفر أي من لم يحكم بما أنزل الله، سواء كان مسلما أو غير مسلم. والله أعلم.

وفي القسم الخامس من هذا الباب، أوضح الكاتب تفسير سيد قطب فيما يتعلق بتعامل المسلمين مع الكفار في وقت الأمن وفي وقت الحرب. أما في سورة النساء: ٨٩، ذكر سيد أن الإسلام يتسامح مع أصحاب العقائد المخالفة له، فلا يكرههم أبداً على اعتناق عقيدته. ولهم -حتى وهم يعيشون في ظل نظامه ودولته- أن يجهروا بمعتقداتهم المخالفة للإسلام. في غير ما دعوة للمسلمين ولا طعن في الدين. وذكر أيضاً أن الإسلام يحافظ على حياتهم وأموالهم ودمائهم، وأنه يمتنعهم بخير الوطن الإسلامي بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام، وأنه يدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم في غير ما يتعلق بمسائل النظام العام.

ثم في سورة الممتحنة: ٧-٩، ذكر أيضاً أن الله رخص لهم في موادة من لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسوهم من حقوقهم شيئاً. ولكنه نهى أشد النهي عن الولاء لمن قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم. ومن الآيتين السابقتين يمكن الاستنتاج أن تفسير سيد قطب يتوافق مع قواعد المعاملة بشكل عام. لذلك لا بأس أن يتعامل المسلمون مع غير المسلمين بشروط كما تلى: (١) أنهم ليسوا محاربين للمسلمين؛ (٢) لا طعن للإسلام؛ (٣) لا تدعو المسلمين إلى الإيمان بعقائدهم؛ (٤) عدم إخراج المسلمين من بلادهم. إذا تم استيفاء هذه الشروط، فإن غير المسلمين يضمنون حقوقهم في الإسلام، سواء في شؤونهم الدنيا أو شؤون عقيدتهم.

وفي سورة التوبة: ١٢٣، ذكر سيد أن قيادة الحرب قد سارت عليها الفتوح الإسلامية، تواجه من يلون دار الإسلام مثل بلاد الروم وفارس. وهنا يلمح أيضًا إلى مشكلة إضعاف قوة الإسلام بعد تقسيمه وتفريقه. وخلق حدود مصطنعة بينهم على أساس المملكة أو الجنسية. وسيستمر هذا الضعف ما لم يتّحد المسلمون ويعودون إلى دينهم ولوائهم. وعندما فسر الآية، أدرك أن مبدأ الجهاد في الإسلام ليس هو مجرد 'الدفاع' (دفاعي / *defensif*) أو بعبارة أخرى، حسب قوله، فإن الآية تحتوي أيضًا على أمر بشن الجهاد على نطاق واسع. ثم ذكر أيضًا أنه كان هناك بعض الذين يتحدثون أحكام الجهاد في الإسلام، هم يتلمسون لهذا النص النهائي الأخير قيدا من النصوص المرحلية السابقة، فيقيده بوقوع الاعتداء أو خوف الاعتداء، أو بعبارة أخرى مجرد الدفاع.

وصوّر أنهم يتعاضمهم ويهو لهم أن تكون هذه هي أحكام الإسلام!. وأن يكون الله سبحانه قد أمر الذين آمنوا أن يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار، وأن يظلوا يقاتلون من يلونهم من الكفار، كلما وجد هناك من يلونهم من الكفار!. يتعاضمهم ويهو لهم أن يكون الأمر الإلهي هكذا، فيروحون يتلمسون القيود للنصوص المطلقة، ويجدون هذه القيود في النصوص المرحلية السابقة. ووفقا لما قاله سيد، أنهم يواجهون هجوما صليبا منظما لثيما ماكرا خبيثا يقول لهم: 'إن العقيدة الإسلامية قد انتشرت بالسيف، وأن الجهاد كان لإكراه الآخرين على العقيدة الإسلامية، وانتهاك حرمة حرية الاعتقاد.' ولكن في الحقيقة ليس كذلك، وذلك لأن الإسلام يقوم على قاعدة 'لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ'، والهدف من الجهاد هو لضمان حرية الاعتقاد ولتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد. وعندما يتحقق هذا الهدف، يترك الناس

—بعد ذلك— أحرارا حقا في اختيار العقيدة التي يريدونها. إن شاءوا دخلوا في الإسلام، وإن شاءوا بقوا على عقائدهم وأدوا الجزية، إعلانا عن استسلامهم لانطلاق الدعوة الإسلامية بينهم بلا مقاومة، ومشاركة منهم في نفقات الدولة المسلمة التي تحميهم من اعتداء الذين لم يستسلموا بعد، وتكفل العاجز منهم والضعيف والمريض كالمسلمين سواء بسواء.

وفي سورة مُجَّد: ٤، أوضح السيد أن المقصود باللقاء في الآية هو لقاء خلال الحرب، وليس لقاء في وقت آمن أو في الحياة اليومية. ويقيد سيد قطب ممارسة الآية فقط بعد أن يعرض المسلمين الإسلام عليهم وإبائهم له طبعاً. بعبارة أخرى، المسلم ليس له ما يبرره في قتل غير المسلمين قبل أن يعرضهم على الإسلام. حتى إذا ظهر إبائهم له بالطبع فيجوز على المسلم لقتالهم. وهذا الحكم، لا ينطبق إلا أثناء الحرب، لذلك هذا لا ينطبق في وقت السلم.

ومن الآيات السابقات، استنبط الكاتب أن سيد يحتسب أن الجهاد على الكفار لا يقتصر فقط على الدفاع (*defensif*) ولكن أيضاً العدواني (*opensif*). وهذا يستند إلى سورة التوبة: ١٢٣ التي هي النص النهائي. ولا يجوز الحرب قبل أن يعرض الكفار على الإسلام وظهر إبائهم له. وإن رأيه في هذا الجهاد—وفقاً للكاتب— يتعارض مع معظم العلماء الذين يشترطون أن الجهاد يقتصر على الجهاد الدفاعي فقط. وهذا يفهم لأن سيد قطب لديه أسباب خاص، ويجتهد بكل معرفته وخبرته التي اكتسبها أثناء جهاده في منظمة إخوان المسلمين. وقد يكون الاختلاف في تفكيره مع معظم العلماء قد حدث لأن الخبرة التي مروا بها كانت مختلفة للغاية بحيث كانت لديهم أفكار مختلفة أيضاً. والله أعلم.